تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { واضرب } يا محمد للناس { مثل الحياة الدنيا } في زوالها وفنائها وانقضائها { كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض } أي ما فيها من الحب فشب وحسن وعلاه الزهر والنور والنضرة ثم بعد هذا كله { أصبح هشيما } يابسا { تذروه الرياح } أي تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال { وكان ا على كل شيء مقتدرا } أي هو قادر على هذه الحال وهذه الحال وكثيرا ما يضرب ا مثل الحياة الدنيا بهذا المثل كما قال تعالى في سورة يونس { إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام } الاية وقال في الزمر : { ألم تر أن ا أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه } الاية وقال في سورة الحديد { اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته } الاية وفي الحديث الصحيح [الدنيا خضرة حلوة] وقوله { المال والبنون زينة الحياة الدنيا } كقوله : { زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب } الاية وقال تعالى : { إنما أموالكم وأولادكم فتنة وا عنده أجر عظيم } أي الإقبال عليه والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم والجمع لهم والشفقة المفرطة عليهم ولهذا قال : { والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا } .

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف : الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وقال عطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير عن ابن عباس : الباقيات الصالحات سبحان ا والحمد ولا إله إلا ا وا أكبر وهكذا سئل أمير المؤمنين عثمان بن عفان عن الباقيات الصالحات ما هي ؟ فقال : هي لا إله إلا ا وسبحان ا والحمد وا أكبر ولا حول ولا قوة إلا با العلي العظيم رواه الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن المقري حدثنا حيوة حدثنا أبو عقيل أنه سمع الحارث مولى عثمان بن عفان Bه يقول : جلس عثمان يوما وجلسنا معه فجاءه المؤذن فدعا بماء في إناء أظنه سيكون فيه مد فتوضأ ثم قال : رأيت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يتوضأ وضوئي هذا ثم قال : [من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ما كان بينها وبين الصبح : ثم صلى العصر غفر له ما بينها وبين الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما بينها وبين العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين المغرب ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ثم إن قام فتوضأ وصلى صلاة الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء وهي الحسنات يذهبن السيئات] قالوا هذه الحسنات فما الباقيات الصالحات يا عثمان ؟ قال لا إله إلا ا وسبحان

الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تفرد به .

وروى مالك عن عمارة بن عبد الله بن صياد عن سعيد بن المسيب قال : الباقيات الصالحات : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال محمد بن عجلان عن عمارة قال : سألني سعيد بن المسيب عن الباقيات الصالحات فقلت : الصلاة والصيام فقال لم تصب فقلت الزكاة والحج فقال : لم تصب ولكنهن الكلمات الخمس : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال ابن جريج : أخبرني عبد الله بن عثمان بن خيثم عن نافع بن سرجس أنه أخبره أنه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات قال : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال ابن جريج وقال عطاء بن أبي رباح مثل ذلك .

وقال مجاهد : الباقيات الصالحات : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله : { والباقيات الصالحات } قال : لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله هن الباقيات الصالحات قال ابن جرير : وجدت في كتابي عن الحسن بن الصباح البزار عن أبي نصر التمار عن عبد العزيز بن مسلم عن محمد بن عجلان سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال : [قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات] قال : وحدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : [استكثروا من الباقيات الصالحات قيل : وما هن يا رسول الله قال الملة قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله] وهكذا رواه أحمد من حديث دراج به .

قال ابن وهب : أخبرني أبو صخر أن عبد الله بن عبد الرحمن مولى سالم بن عبد الله حدثه قال : أرسلني سالم إلى محمد بن كعب القرظي في حاجة فقال : قل له القني عند زاوية القبر فإن لي إليك حاجة قال : فالتقيا فسلم أحدهما على الاخر ثم قال سالم : ما تعد الباقيات الصالحات ؟ فقال : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله فقال له سالم : متى جعلت فيها لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ قال : ما زلت أجعلها قال : فراجعه مرتين أو ثلاثا فلم ينزع قال : فأثبت ؟ قال سالم : أجل فأثبت فإن أبا أيوب الأنصاري حدثني أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلّم وهو يقول : [عرج بي إلى السماء فأريت إبراهيم عليه السلام فقال : يا جبريل من هذا الذي معك ؟ فقال : محمد فرحب بي وسهل ثم قال : مر أمتك فلتكثر من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة فقلت : وما غراس الجنة فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن يزيد عن العوام حدثني رجل من الأنصار من آل النعمان

بن بشير قال : [خرج علينا رسول ا صلى ا عليه وسلّم ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء فرفع بصره إلى السماء ثم خفض حتى ظننا أنه قد حدث في السماء شيء ثم قال : أما إنه سيكون بعدي أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم ومالأهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يمالئهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه ألا وإن سبحان ا والحمد ولا إله إلا ا وا أكبر هن الباقيات الصالحات] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا أبان حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد عن أبي سلام عن مولى لرسول ا صلى ا عليه وسلّم أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : [بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان : لا إله إلا ا وا أكبر وسبحان ا والحمد والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده ـ وقال ـ بخ بخ لخمس من لقي ا مستيقنا بهن دخل الجنة : يؤمن با واليوم الاخر وبالجنة والنار وبالبعث بعد الموت وبالحساب] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : كان شداد بن أوس Bه في سفر فنزل منزلا فقال لغلامه : ائتنا بالشفرة نعبث بها فأنكرت عليه فقال : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها غير كلمتي هذه فلاتحفظوها علي واحفظوا ما أقول لكم : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا أنتم هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك وأسألك قلبا سليما وأسألك لسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب] ثم رواه أيضا النسائي من وجه آخر عن شداد بنحوه .

وقال الطبراني : حدثنا عبد ا بن ناجية حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثني أبي حدثنا عمي الحسين عن يونس بن نفيع الجدلي عن سعد بن جنادة Bه قال : كنت في أول من أتى النبي صلى ا عليه وسلّم من أهل الطائف فخرجت من أهلي من السراة غدوة فأتيت منى عند العصر فتصاعدت في الجبل : ثم هبطت [فأتيت النبي صلى ا عليه وسلّم فأسلمت وعلمني { قل هو ا أحد } و { إذا زلزلت } وعلمني هؤلاء الكلمات : سبحان ا والحمد ولا إله إلا ا وا أكبر وقال : هن الباقيات الصالحات] وبهذا الإسناد [من قام من الليل فتوضأ ومضمض فاه ثم قال سبحان ا مائة مرة والحمد مائة مرة وا أكبر مائة مرة ولا إله إلا ا مائة مرة غفرت ذنوبه إلا الدماء فإنها لا تبطل] وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله : { والباقيات الصالحات } قال : هي ذكر ا قول لا إله إلا ا وا أكبر وسبحان ا والحمد وتبارك ا ولاحول ولاقوة إلا با وأستغفر ا وصلى ا على رسول ا والصيام والصلاة والحج والصدقة والعتق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض وقال العوفي عن ابن عباس : هي الكلام الطيب وقال

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هي الأعمال الصالحة كلها واختاره ابن جرير C